دلدل و قصواء
عبدالباقى المُغربى
مجموعة قصصية

عناوين القصص

- درس جديد..... ٣
- درس قديم ٤
- الطائر الأبيض..... ..... ٥
- كتكوت ابن الحمامة..... ٦
- عدنا لعشنا..... ٨
- دلدل وقصواء..... ١٣
- ثلاث أرنبات..... ١٦
- مزاد الشعوب..... ١٨
- خمس أوزات..... ٢١
- شقاوة صغار..... ٢٤
- نازل النخلة..... ٢٥
- جعران الحظ..... ٣١
- كلب أصيل..... ٣٣
- شجر الروح..... ٣٥
- هرة أبو هريرة..... ٣٦
- السلعوة..... ٣٨
- حصّاد القمح..... ٤٠

درس جديد

من بعد العصر- بقليل اغيّمت السماء ولكن ليس بسحب المطر ،،وإنما من عشرات الغربان الذين ينعقون ؟؟! يلتفون حلقا حول بيت أحدهم ، لماذا أتوا ، وفيما نواحهم ؟هل هى إشارة لموت أحد من أهل الدار كما تعلم الناس من ظن السابقين ، خرج بعضهم يستطلعون أمرهم ،ووجدوا أخاهم بين سلكى عمود الإنارة أمام البيت مقلوبا وما انفك تسري فى جسده المتصلب الكهرباء ،الشرارات تتطاير بين جناحيه المتصارعتين الضاربتين بلا جدوى نعيقه يسد الآذان يتسابقون للمرور بين السلكين محاولين خطف أخيهم أو إخراجه يتناوبون فى تسلسل غير اعتيادى يمرقون بين الأسلاك ضاربى أجنحتهم فى جناحه ثم يرتفعون لأعلى السماء ويعودون من المقدمة يكررون الكرة مرة ومرات وكلما أحس بهم رعشت أوصاله يحاول الفكاك فقد وضع قدميه على السلكين معا فى جزءين مكشوفين فصار موصلا بينهما فأخذه تيار الكهرباء ثم برهات سكنت فيها جناحى أخيهم فيتحلقون سماويا فوق أخيهم ،النوح والنعيق وغيم السماء يطبق القرية ثم فجأة من كل حدب وصوب تتجمع الوفود عشرات عشرات بل ظنوا أنهم ألوف يلتفون حلقا حول الآخرين حتى هدأت الشرارات بين جناحيه فيذهب إليه بعضهم واحدا واحدا ويعودون لهم ...حتى توقفت حركته تماما ويسقط فجأة بعد أن ضربه أحدهم بجناحه فأتى آخرين كأنهما كانا متحفزين فتلقفاه قبل أن يصل الأرض ،فنعقت الغربان نعقة مختلفة وكأنها زغرودة الفرح تهز عنان السماء وطارا به ،وتجيّشت الصفوف خلفهما رتبا رتبا -ورويدا رويدا- انفكت غيوم السماء .

كم عجيب أمر هذا الطائر الأسود!؟،كل البشر- تتأفف وتتشائم منه ؟وهو المعلم الأول لنا رابطة الأخوة بينهم أقدس من أى شىء ، فلا أخ يغدر بأخاه . فسبحان الله -الذى علم هذا وخلقه ليعلمنا قيمة الأخوة كم عظيم أنت أيها الطائر الأسود "غراب البين" .

درس قديم

عندما أخطىء قابيل بقتل أخيه هابيل حسدا له وطمعا فيما له وتباكى بجوار جسده، بعث الله غرابين يتشاجران و تعاركا على لا شيء ،ربما حبة أو جيفة فقتل أحدهم أخاه فأخذ القاتل يقلبه على جناحيه وبطنه ،فلما وجده مات نظر إليه بندم وحسرة ،وأعاد ضربه بجناحيه لعله يفيق فما قام ،فلمّا تيقن من موته نفخ حوصلته وأخذ ينعق عليه ويصيح هنا وهناك ،والتهبت عيناه إحمرارا حزنا على أخيه ثم عاد إليه بطيئا بطيئا مطأطأ الرأس ،ثم ابتعد و تحنجل حوله حتى وصل لبقعة من الأرض فحفرها وراح إليه كسير الظهر كسيف الوجه مرقداً جناحيه فى ثرى الأرض .. جذبه بقدمه وجناحيه وتارة دافعا له بظهر منقاره ،والدموع تغرق الأرض فأرقده الحفرة ثم شهق ونعق وردم عليه التراب ..فلما انتهى استوقف نفسه وناح ونعق طويلاونظر للسماء، وكثر نعيقه فلا يعلم وقتها أكان يبكى أخاه أم يستغفر ربه من ذنبه؟ وربما كان له صوت من أجمل الأصوات فلمّا غدر بأخيه صار نعيقا فوق جثته ؟؟ ثم طار وتركه . وتعلم قابيل قاتل أخيه هابيل وقال فى نفسه "أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأوارى جثة أخى" فحفر قبر أخيه وسجّاه ثم بكاه .

الطائر الأبيض

تحت شجرة السنط التى كان الاولاديلعبون ويلهون عندها ومن وسط جمعهم أسقطوا ابنهم،فلما سقط على الأرض تقاذفوه بأيديهم وركلوه بأقدامهم نتفوا جناحيه فخرج منه أنين مكتوم ،وهم ظلوا بأعشاشهم يتناظرون إليهم ،وقام الأولاد بربطه بحبل ،ولكن أحدا منهم لم يتحرك غريب أمر هذا الطائر ، شكله أبيض يكاد يكون ناصع البياض ، كيف يكون صديقا للفلاح يخلّصه من دود الأرض ،وهو لا يدافع عن ابنه، أليسوا بأهل ،صار الأطفال يتوجسون بين الفينة والأخرى أن ينقضّوا عليهم ،ولكنهم يتناومون بأعشاشهم ، حتى مات من فرط لعبهم به ... قتلوه! وسحلوه ، فلمّا مات رموه ،وتسابقوا لإسقاط آخر ،رموهم بالنبل والحجارة ،فانكسر بيضهم ،حتى أصفرّت وأحمرّت الأرض ،أسقطوا ثانيا وثالثا وثلاثا ،وتحت شجرة السنط رصوهم هدموا بعض أعشاشهم ،فتفرقوا صعودا لأعلى الشجرة ،ولم يتخذوا موقفا ، انتهى النهار وذهب الأولاد لبيوتهم ،وعادوا اليوم التالى فوجدوا فراخهم قد ماتت تحت الشجرة ،ووصار الأولاد كل يوم يفعلون فعلتهم فتزداد الأكوام حتى كرهوا السنطة وما بها وما عليها ،وكان كل يوم يأتيهم رجلا ينهرهم عن فعلهم، فيختبئون عنه ويعودون بعد ذهابه ويكررونها ،فقد كانوا كثيرا كثيرا يكاد عددهم على سنطة واحدة يفوق كل الطيور على بقية الأشجار ،وبعكسهم كانت دوما أخوة الطائر الأسود تدفع الناس للإعجاب بهم فحقيقة تعلمها البشر- "أن كثرة العدد ليس هو الأمن ،وإنما نفع الأخوة ودفاعهم عن بعضهم أحياء وأمواتا وإن قل عددهم فهو الآمان ".

كتكوت ابن الحمامة

فى حضن الحمامة ارتمى أحد الديوك الصغار ، بمجرد هبوطها على الأرض تلتقط حبا منثورا لهم من ربة البيت، تنقره لتبعده فيحتضنها أكثر وأكثر محاولا الإحتماء تحت جناحيها ،تهدأ له وتحاول الإبتعاد تطير وتهبط بعيدا عنه، ولكنه ما يتركها تلامس الأرض حتى يرتمى إليها تتقافز مبتعدة ،وهو مايبرح خلفها تترك الحب لتعود أدراجها ،ينكسر هو إلى أقرانه أبناء الدجاجات ووسط الأوز والبط ،وما إن تلمحه أمهاتهم وترقبه فتهجم عليه ضربا بجناحيها ومناقيرها ،فلا يستطيع المكوث بينهم فيلتقط الحب وحيدا .

وتهبط الحمامة وسطهم فيفزعونها إلا هو ،دائما تحت جناحها يحاول المكوث وتظنه منهم ولكنها تحنّ له ،بينما حجمه الذى يضاهى ضعف حجمها يمنعها من احتضانه يوما فيوما تتكرر الأعجوبة وإجابة بلاسؤال ربة البيت تقول -سبحان الله- بيحنّ لأمه وتظهر الأعجوبة بعدما سألت ،بأن هناك دجاجة رفضت الرقود على بيضاتها ، فأخذتهم ووضعتهم خلسة بجوار إحدى بنات الأوز التى احتضنتهم كأنهم منها ،ولكنها ما إن شعرت بيد تعبث بهم حتى هاجت وماجت فما استطاع أحد الإقتراب من مرقد بيضها بعد ذلك ،وأخرجت تلك البيضة التى لامست يد المتطفلة ،وبقيت وحيدة وما استطاعت سيدة البيت أن تعاود المحاولة ،وخافت على البيضة فوضعتها فى عش حمامة ترقد فوق بيضتيها فبعدت عنهم قليلا ، ثم عادت لهم وما هى إلا لحظات حتى حاورتها بجناحيها وجانبى منقارها مثل بيضتيها ،ولكنها كانت أكبر... وظنت أنها ستلقيها ولكنها ضمت خصرها وفردت جناحيها حتى استوعبتها بدفئها وحنانها ،وذات صباح يوم وجدت الأم بالعش فرخان وبيضة فصارا بجوارها وهى راقدة على تلكم البيضة وتسارعت بضعة أيام حتى نقفت عن كتكوت أصفر فأخذ من عشها ،وأعيد بين أقرانه الذين خرجوا

قبله ببضعة أيام ،وكانوا قد وضعوا تحت طيور أخرى،وما الرابط بينهم كأخوة سوى نطفة ...فلما لاحظتهما بعد ذلك،ووجدت جمعا من الحمامات تهبط وتعلوا ،ولا يعيرها اهتمام ،حتى تنزل هى فينجذب إليها فرحا بها، ومهما ابتعدت خطاها صار خلفها حتى تطردها أخصامها من الدجاجات ،فلم شبّ وكبر صار ديكا زعيما للحظيرة ، أخذ يروح إليها عند نزولها تحضنه فيحضنها بجناحيه العملاقين،تلتقط الحب برويه ،وما عاد يجرؤ أحد لها اقترابا فهو وقتئذ برغم عرفه الصغير سيد طيور البيت،وهى أم السيد ما ولدته ولكنها بدفئها و قلبها رعته وربته..."فسبحان الله ...ليست الأم من ولدت ...وإنما الأم من ربت ورعت ".

أتى فجرا شقيق الأم طاردا لها وأبنائها من بيت جدهم"أبيها" بإدعاء أنه ليس لهم حق البقاء أكثر من ذلك ،فقد تفضلوا عليهم بإقامتهم أربعة أشهر داخله ،وقد بنوا بيتهم بعدما تهدّم والآن عليهم الرحيل عن إرثهم ،فأيقظت الأخت أخيها وأخبرته الخبر ،وفوجئوا بالخال يلعن ويسب أخته بعدما رجته الإنتظارأسبوعا أخيرا ،ريثما يتم تركيب بابا حديديا لبيت زوجها ،فرفض قاذفا حاجياتها خارجا ومتهما لهم بأنهم نجسوا بيتهم ،فقررالأخ من فوره حمل كل أغراضهم والرحيل ،وظل من قبيل شروق الشمس حتى مغربها ،يحمل على كتفيه غلالهم وطيورهم وأمتعتهم التى كانت مستودعة أسفل سلم البيت ، والأم تبكى وتلطم على حرمانها من حق إرثها فى بيت والديها ،وتدعو ابنها لتناول فطاره وغذائه، فلم يستطع إلا أن يرتشف كوبا من الشاى بكسرة خبز ،وأكمل مهمته، وحمل أمتعة بيتهم الكثيرة وما تبقى من غرفهم ومناضدهم وكتب أخوته المدرسية التى كانت مكومة بشكل عشوائى بغرفة عتيقة أسسها جدهم والد أبيهم كديوان ضيافة أول مدخل بيوتهم المتجمعة حول بعضها، وشعر بوجعا مؤلما أخفاه طيلة خمسة أشهر ،نقّب فيها عن حاجياتهم أسفل الرديم واستخرجها ،ثم أزال ركام الهدم لبيت من أربعة أدوار وكان أول بيت يبنى بالطوب الأحمر من سبعين عاما فى قريتهم ، ثم حفروا قواعده الجديدة وصبّوا قواعده ثم رقاب الأعمدة ،وانتصبت قوائم البيت كما كان ،وبنوا حوائطه وقسّموا غرفه ،وصبّ سقفه ،ولكن قبل أن يجف أتاهم الطاردين اللاعنين ،فأزال بعضا من طفش الأخشاب وبقايا البناء ،وفوق المسامير الصدئة المتناثرة فرشوا أمتعتهم لينام أول ليلة ببيتهم الجديد ،أسفل عروق الخشب حاملة السقف ومن قابس كهرباء واحدة مدّ ثلاثة مشتركات متتاليات من أسلاك الإضاءة وألحق بها مصابيح أشّعت فى زهوة بيتهم شعاعا فقدوه لما انهدم ،فلما جنّ منتصف الليل وأكمل مهمته صعد لأعلى السطح ،وارتمي فوق حمل الرمل فشعر ببرودة ودفء آنيان معا لم

يألفهما فى حياته ،ببرودة الرمل النادى ودفء بيتهم ، فما مرت لحيظات فاستغرق فى نوم فقده من نصف عام ،وشعر بوخذة فى قدمه، فإذا الأم تيقظه جالبة له عشائه ،بعدما رفضه سابقا لعدم قدرته على البلع وأمرهم بالعشاء ،وأتي لهم بما يلزم من مأكولات سريعة الإعداد ،فلما انتهوا ما طاوعها قلبها أن تتركه بلا طعام ،وأعطته صينية العشاء و"كفرتة" ليلتحف بها ،فالليل بارد فوق السطح ،رغم أنهم فى أول الصيف ،فتمني عليها أن تستريح ولا تهتم لأمره، وأن تنسى- كل شيء فهاهم أبناءها حولها ومعها ،فتناول بضعة لقيمات كى لا يكسر- خاطرها ،رغم أنه لا يستطيع إدخال شيء فى جوفه من شدة التعب ،وجلست هى على بسطة أعلى السلم تحادثه عن كيفما بنيت هذه البيوت المتداخلة منذ مائة عام كما أخبرتها أمها ،وعمتها والدة زوجها، وما عاشته فى صباها وأنه صار شبيها لأحدهم ممن تحمل عبء هذه العائلة لتستقر بمقرها الحالى ،ثم أخذ كوب الشاى الذى أحضرته مع العشاء ،وارتشف منه قليلا ووجد نفسه نائما فوضعه بجانبه وأصابعه حول الكوب واستغرق فى سبات الليل نوما ،حتى وجد شيئا يتمسح به من أسفل قدميه حتى خديه، فتدفئت به قدميه وهو يشعر ببرودة السحر وحاول أن يصل للغطاء بجانب قدميه ،فما استطاع أن يمد يدا إليه ،ووجد سائلا يتدفق على وجهه، فاسترع أن تكون إحدى الهوام المندسة أسفل الرمل قد خرجت فما قدر إلا أن يرفع رأسه ،وفتح نصف عينيه، فوجد قططهم قد عادوا بعد أن ارتحلوا قبيل سقوط الدار فإذ به يجدهم يهلّون واحدة وراء أخرى يتلمّسون جوانب البيت ويشتمون رائحته وها هى أمهم الكبرى يراها تجلب أبناءها الجدد من منازل قريبة لتدسهم فى بيتها وأخذ يرقبهم طيلة السحر وهى تذهب وتجىء وتتمسح به حينا ،كأنّها تهنأه وتشكره على عودتهم ،وغلبه النوم ثانية فنام، حتى هاجه صوت صراخ وجلبة ،فلما استيقظ وجد الشمس حارقة ومازالت الأصداء تتعال ،ويسمع أمه ترحب بهم وتهنئهم بالعودة وهم يحتفلون بالرقص والصراخ فراح يستطلعهم ،

وزحف قليلا على بساط الرمل حتى اعتدل واقفا فنزل قليلا درجات السلم ،ورآها تستلم طيورها ودواجنها التى فرّت إلى الجيران ،وقد أعادوهم إليها ،بل كأنّهم هم عادوا بأنفسهم بعدما تبلغوا بالخبر من قطط البيت ،وتثآئب فرحا ،فإذا الحمائم تتحلق حول دارهم طربة ،تضرب بأجنحتها الهواء وتدور حول بعضها تتجاذب نفسها فوق مكامن أعشاشها القديمة ،وهاهى الإوزات تفرد أجنحتها الكبيرة بطولها وعرضها تصرخ من شدة الفرح وتتطاير فى الأماكن داخل الدار ،والدجاجات تبحث عن مراقدها وتنشىء بعضها فوق الرمل على عجل وكأنها تحن للبيت ،وكل واحدة ترغب أن تضع مولودها أولا فى الدار الجديدة ،وتستلم الأم آخر حصة من بيضهم الذى بقى ثلاثة أيام مختزن عن الجيران ،الذين سارعوا بطلب مسامحتها على عدم القدرة على حصر بيض دجاجاتها من دجاجاتهم ،والأم تشكرهم جزيل الشكر ،فقد أمدّوهم بالبيض عدة أشهر أكثر مما قد تكون قد أنتجته دجاجاتها القليلة ،وأفاق واشتهى الأكل والصلاة ،فسئل عن الصلوات فأخبر أن العصر قد اقترب ،وطلب الأكل ،فأسرعوا بسلق بيض مما أعيد إليهم، ريثما يذبحون أحد الديوك له، وإن كانت الأم عنفّت نفسها على أنها فكرت أن تجعل اللحم على فتة فطير يلزمه الكثير من تقالى البصل ،وهى من دلائل السرور البالغ والفرح العظيم ،وهو ما لا يجب أن يكون فإنهم قد فقدوا عمهم شقيق زوجها بموته المفاجىء بعيد شهر من انهدام الدار خوفا وحزناعليهم ، فقد أشاعوا عنده - وكان يسكن بأطراف البلدة- أن أمه وأخيه وأبناءه، قد اندفنوا تحت البيت المنهدم فجاء مسرعا باحثا عنهم وسط الركام، وهدأ قليلا لمّا تلقاه ابن أخيه،وأفرحه بأنهم ما زالوا أحياء ،وتسآءل عن أمه فأوصله لها، وهى تبكى وتنوح على بيتها وبيت زوجها الذى ما خرجت منه مرغمة منذ دخلته قبل ستين عاما، فأخذهم جميعا لبيته ،وتركوا دارهم المنهدم ،حتى عادوا إليه بعد ستة أشهر ،كانت قد وافته منيته إثر أزمة قلبية سببتها الحادثة قبيل أربعة أشهر ،ولذلك يجب أن يبقى فرحهم داخل

حـزنهم، وبعـد صـلاة العشـاء أتاهم أول المهنئـين تبعـه أحـدهم حـاملا رسـالة تأنيـب خاصـة للإبـن مـن جدتـه، أن تركهـا ونسـيها بـلا سـؤال منـذ يـومين ،وهى الـتى بقيـت بـدار عمـه، وكانـت تشـعر بحنـق الجميـع عـلى قـدر الله أنهـا هى الـتى عاشـت وابنهـا الشـاب قـد رحـل ،وتمنـت كل يـوم أن كانـت دفنـت تحـت البيـت ولا يمـوت ابنهـا الأوسـط ،ومـا كان يؤنسـها إلا ذهـاب حفيـدها إليهـا آخـر الليـل يطمـئن عليهـا ،ويعـدها كل لـيلة أن يأخـذها معهـم أول يـوم يعـودون فيـه لدارهم ،وهـاهو قـد انقطـع عنهـا مـدة ثـلاث ليـال منـذ انشـغل بنقـل حاجيـاتهم، بعـدما طـردهم الأخـوال مـن بيـت أبـيهم الملاصـق لدار جـدهم ،فـذهب إليهـا مسرـعا مـن ليلتـه .وقدميـه لا ترفعانـه مـن شـدة التعـب وجـروح الأخشـاب والمسـامير بهـا ،ووجـدها تـبكى بـدموع لم يألفهـا وتنـوح أن نسـيها ،وتركهـا المـوت قابعـة بمفردهـا تـبكى نفسـها وابنهـا ،فلمّـا شـعرت بـه، وكان نظرهـا قـد ضـعف وضـاع أكـثر مـن بعـد انهـدام البيـت ووفـاة ابنهـا ،فإنّهـا ظلـت سـتة أشـهر بمفردهـا تـبكى الأيام الخـوالى مـع زوجهـا ،وهى الـتى أسسـت البيـت وملئتـه بالحيـاة والأبنـاء والأحفـاد ،فأخذتـه بـين كفيهـا وحضـنته ،تعاتبـه أن تركهـا وأخلـف وعـده، وكادت أن تتثاقـل عـلى قـدميها الخـائرتين لتعـود معـه الآن ،فأرجئهـا حـتى الغـد فـلا يجـب أن تعـود إلا فى ضـوء النهـار وأتاهـا عصرـاليوم التـالى وحملهـا إلى دارهـا فى شـكله الجديـد ،وسـعدت بـه معهـم وأخـذوا يصـفونه لهـا جـزءا جـزءا ،وتحلقـوا حولهـا يسـتمعون كيـف بنيـت هـذه الدار أول مـرة منـذ سـبعين عامـا ،وعـرف مـن لم يكـن يعـلم قصـة البيـت وأهـله مـن صـاحبة الدار، وكأنّهـا الشـمس الـتى سـطعت الحيـاة فيـه مـن جديـد وازداد جسـدها صحـة ووفـرة بمجـرد استنشـاق غبـار الدار بعـدما كادت أن تـزول فى نـوح وحدتها،،وتعشّـوا معـا لـيلة كغـير الليـالى ،وتـركهم وصـعد يسـتلقى عـلى الرمـل ،وتجمعـت حـوله قطـط البيـت وحمائمـه وكأنـه يسـتمع لـلأوز والـبط والدجاجـات ،يتبـادلون ذكـريات البيـت ،فمـا شـعر صـباحا إلا بصـوت أمـه وجدتـه تتبـادلان الحسـاب عـن عـدد طيـور البيـت ودواجنهـا ونصـيب كل واحـدة مـنهما ،وأخـذتا

تتقاسمانهم كما هى عادتها منذ ثلاثين عاما قضياها معا ،وفوجئوا جميعا بعودة آخر الغائبين ،وكانت أرنبة أخذت تروح وتجىء تبحث عن جحرها ثم خرجت وعادت بعد المغرب وخلفها زوجها وأخواتها وكثير من أبناءهم مختلفى الأعمار وهكذا عادوا جميعا لأعشاشهم ،فمهما كانت البيوت والقصور فلا يسع المرء إلا داره التى ولد بها وإن كانت حاصلا من طين .

دلدل وقصواء

القصواء هى ناقة النبى محمد ﷺ فى هجرته وكانت من اثنتين أتى بهما ابن أريقط إلى بيت أبى بكر ،وأما دلدل فهى البغلة التى أهدتها مصر إلى النبى الأمين من مندوبها المقوقس رئيس القبط المسيحين،وكم غزت القصواء مع الرسول الكريم حتى أنها هى التى دخل راكبا عليها إلى الكعبة يوم فتح مكة ، ولقد لعبت هذه الناقة دوراً مهماً في العديد من الأحداث الإسلامية، وكانت لها مكانة خاصة عند الرسول وعند الصحابة. لم تكن مجرد وسيلة نقل، بل كانت رمزاً للعديد من الدروس والعبر.، و"القصواء" أى "السريعة الرشيقة " وكذلك اسماً يرمز إلى "النبل والقوة". فهذه الناقة كانت معروفة بسرعتها وقوتها، وكان الرسول ﷺ يركبها في العديد من الأحداث والمناسبات. عند هجرة النبيﷺ من مكة إلى المدينة، كانت القصواء هي التي حملته في هذه الرحلة المباركة. وعندما وصل النبي إلى المدينة، بركت الناقة في المكان الذي أصبح فيما بعد المسجد النبوي. كانت هذه إشارة من الله سبحانه وتعالى إلى مكان بناء المسجد، حيث أن الرسول لم يختر المكان بنفسه بل كان بروك الناقة هو التوجيه الإلهي. كما كانت القصواء أيضاً مشاركة في صلح الحديبية، وفيها حدثت معجزة حيث توقفت الناقة فجأة عن السير، ما اعتبره النبي إشارة من الله. وكان النبى يطلق سراحها لترعى وتأكل، وكان يُقدّر تعبها في السفر والتنقل ، ومن أبرز المواقف التي برزت فيها ناقة الرسول ﷺ كانت في غزوة بدر،فقد استخدمها الرسول كوسيلة نقل ليتفقد مواقع الجيش وليطمئن على سير المعركة. كانت القصواء تتحمل مشقة الطريق والمسير، وكان لها دور هام في تأمين تنقل النبي خلال هذه الفترة الصعبة.

وأما دلدل فهى أول بغلة رئيت في الإسلام وكانت شهباء وروى أيضا عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه قال : "أهدي لرسول الله ﷺ بغلة شهباء ، فهي أول بغلة كانت في الإسلام ، فبعثني رسول الله ﷺ إلى زوجته أم سلمة ، فأتته

بصوف وليف ،ثم فتلت أنا ورسول الله ﷺ لها رسنا وعذارا ، ثم دخل البيت ، فأخرج عباءة مطرفة فثناها ، ثم ربعها على ظهرها ، ثم سمّى وركب ، وأردفني خلفه". وكذلك لم يمت ﷺ عن شيء سواها ،ولقد بقيت حتى قاتل عليها الإمام علي بن أبي طالب في خلافته الخوارج .

وكأننا أمام مشهديها فدلدل تستأنس بها ، تسألها عن صحبة النبى صلى الله عليه وسلم والأخرى تبث إليها بالوصايا وكأنّها تورثها مكانها فإذا دلدل تنصت خاشعة وقد كانت نعم الرفيقة وأحسن وريثة:

- أى دلدل
- نعم يا أختاه
- لقد كانت فرحتى يوم الفتح الأعظم ليست كأى فرحة فإنى خشيت أن يتعسنى حظى ولا أشارك فيه فلّما وضعونى فى مقدمة الصف طرت فرحا ،وتمنيت أنى كأخى البراق بأجنحة من نور أوصله سريعا إلى الدار المقدسة، فهناك قد تربى ونشأ وأنا كذلك ، فهى أرض مولدنا وكم نعمنا هنا فى المدينة بطيب هوائها وحسن الصحبة والأتباع ولكن الوطن أغلى ،فكم كان صلى الله عليه وسلم يتشوق كل يوم لموطنه الأول ويرفع رأسه للسماء فاستجاب الله له .
- إى أختاه ،وكم اشتاق إلى أرض النيل اتنسم هواءها ،ولكنى الأسعد فقد أبدلنى الله غير موطنى بصحبة النبى مُحَمَّد ﷺ ،فجواره يعدل كل أهل ودار.
- صدقت أخيّة

وظلتا معا حتى امتنعت القصواء عن الطعام والشراب بعيد وفاة مُحَمَّد النبى ﷺ ،فراحت دلدل تبكيها بكاء الابنة لأمها ،وكانت دلدل تغزو مع النبى الكريم وكأنها تتقاسم شرف الجهاد وثوابه مع أختها القصواء ،وكم حزنت

وأطبقت عليها السماء يوم رحيل النبى المصطفى وقد وقفت آخر المدينة تسمع أبوبكرالصديق يصيح:

- من كان يعبد مُحَمَّدا ،فمحمد قد مات ،ومن يعبد الله ،فالله حيّ لا يموت .
- وبكت كما بكى كل شيء ،فآلمها الفراق وحنّت لدارها الأولى أرض مصر، ورغم النعيم المقيم كركوبة الخلفاء أبوبكر وعمر وعثمان وعلى ،إلا أنها اشتاقت فى كل يوم للنبى كما اشتاقت لمصر ،فلما هرمت أكرمها الإمام على ،وكان يجرّش لها الحبوب ويطعمها بيديه بعدما سقط كثير من أسنانها،وكأنّ الحنين أخذها لمصر فذهبت ترتحل علّها تعود إليها حتى إذا ما وصلت "ينبع" على شاطىء البحرالأحمر أتاها الأجل فدفنت هناك .

ثلاث أرنبات

أرنبات تربت ببيت، أمرهن غريب ،أولاهن كانت مليئة حركتها بطيئة بيضاء اللون تأكل كثيرا وتنجب قليلا ولا تهتم بأبناءها إن أخذوا منها ،ثم بعد فترة أصبحت تنجب شهرا وتتوقف شهرين ،فجلبت واحدة أخرى ذات ثلاث درجات لونية سواد بياض وغرر سمر كانت عادية الجسم نشيطة تأكل ما تيسر، برسيم أخضر أو أعواد جافة أو كسر خبز ، تقبع بجانب أبناءها ،انجبت عديدا ،أقلها خمس فى المرة الواحدة ،وربما كانت سبعة فى مرتين متتاليتين ،ورغم عديد أبناءها إلا أنها كانت تهتم بأبناء الأخرى وتضعهم مع أبناءها ، بل وتتشاجر مع الأخرى وتطردها إن اقتربت منهم ،ثم فصل بينهم وأصبح لكل واحدة بيتها ،ويدور بينهم الذكر كل مدة شهرية ريثما يكبر الأبناء بشهرين ،وكان منها عجبا ترضع أبناءها وتقفز فوق الحواجز وتذهب لأبناء الأخرى ،ترضعهم وتدفئهم ثم تغطيهم من وبر شعرها ،والأخرى تراها ولا تهتم لأبناءها ،وكأن الثانية علمت أن الأولى تهجر أبناءها فكفلتهم بوحى ربانى ،ثم ترك من أبناء الثانية زوجين ذكر وأنثى،تخيرا من بين عديد ، حتى كبرا فخصص لهما بيتا منفصلا وكانا اسعد زوجين ،ثم أتى فى صبيحة أحد الأيام من بين جنبات السوق بأرنبة ناعمة الشعر، صغيرة صفراء ببياض لامع ،لا تهدأ وسط الأخريات ،وهن موضوعات فى قفص كبير ،وذهب بها ووضعت مع الأولى فما راعها الأمر ،ولكن الذكر ما صبر دقائق حتى راقته وبدا يداعبها ،وأخذت تجرى هنا وهناك وذات ليلة حدثت مشاجرة عنيفة ،وصراخ كبكاء الأطفال ،فإذا الثانية ذهبت ترضع أبناء الأولى ففاجئها وجود الثالثة ،فأخذت تعضها حتى قفّزتها إلى خارج الحظيرة ،وهكذا ظلت ليالى وايام ،بينما الجديدة أخذت تغدوا وتتقافز فوق كل الحواجز مهما ارتفعت فسميت الغجرية وكانت كذلك ،فقد تسللت إلى بيت العاشقين حتى أمكنت الشاب منها،وكانت قبله قد سمحت للآخر بإتيانها ،ومر شهر ظن أهل البيت لصغر سنها

لم تحمل ،فقرروا إبعادها فى عشة منفصلة محكمة الغلق ،ولكنها لم تهدأ ومزقت الأسلاك وقطعت الأخشاب ،فتتبعوها فوجدوها قد وضعت ثلاثة من الأبناء فى جحر الأولى ،راحت تغذيهم وما زالت تتردد فى كل بيوتات الأخريات ،وصارت بينها وبين المبروكة التى أسموها كذلك صراعات دائمة، فإذ المبروكة ترضع لها أبناءها وترعاهم وأخذتهم منها وكأنهم جميعا لها ،فكانت هى الأجدر بأن تكون سيدة الحظيرة ،وجهّز لها منزلا أكبر وفتح لها منفذا على الأخريات ،وبعيد فترة امتلأت الحظيرتين بالخرونقات التى نافت على الخمسين ،بأعمار متفاوتة حتى الزوجين الشابين امتلأت حظيرتهم ،إلا الأولى فلا فائدة منها ،فقرروا ذبحها ،والأعجب أنهم وجدوا الذكر الأكبر قمحى اللون ببياض فى قدميه وغرر سوداء على ظهره ،الذى أنجب كل هاتيك الأولاد متعددى الألوان ،ليس لدية إلا خصية واحدة ؟!.

مزاد الشعوب

فى أحد الشوارع المزدحمة كانت إحدى السيارات ذات الطراز القديم تسير ،يسقط منها بابها وفوقه احد الشباب الذى كان مستقلا لها وواقفا بالباب ،ومن شدة الزحام سقط به وما شعر بنفسه إلا منتصبا على الأرض والباب فى كتفه ،وكأنه من شدة الزحام بالطريق كان يمشى- لا راكبا سيارة ،فتركه السائق تقليلا من أهميته وغير مباليا بباب السيارة، حيث أنه دائما ما يسبب له المشاكل ويكلف عليه الكثير من الصيانة، كما أنه كان قرر استبداله بباب عمولة فى ورشة خراطة ،ثم يركب الشاب سيارة أجرة أخرى جديدة الموديل ،ويأخذ فى كتفه الباب القديم فيعرض عليه السائق مازحا شرائه ،ويرد الشاب بمزحة مساوية أن يقدر ثمن الباب ،فيجيب السائق بربع جنيه ،ويندفع طفل بالسيارة بأن عليه بخمسين قرشا ،ويعرض ثالث بجنيه ،ويتحول الأمر إلى تسلية فيطلق الشاب إشارة بأن يكون مزاد ومن يعرض أكثر يأخذه ،فوافقوا من باب الترفيه ويبدأ فى لم الأموال ورويدا رويدا يتحول الأمر من مزحة إلى إهتمام ،فيتوقفون فى إحدى الحارات لمتابعة المزاد ،ويغضب بعض الركاب من التأخير فيعطيهم السائق أجرتهم ،ويطلب من زملاءه السائقين توصيلهم ،ويبقى بعض الأشخاص والموظفين الذين لا يعملون ،ويتحول الأمر إلى جد باشتداد المنافسة ودخول أعضاء جدد من السائقين والمارين ،إلى أن يصل الأمر أن يصبح حقيقة ،فتتدخل جهات عدة ويصبح مزادا عالميا بعد أن التقطت إحدى كاميرات الفضائيات هذا التجمع وجعلت منه خبرا طريفا ،فأصبح فى لحظة أكثر الأخبار مشاهدة، فجمع من أموال الإعجاب الإلكترونية والمنصات المال الكثير ،وانجذبت إلي الفيديو أشهر الوكالات الإعلانية ، وتنافست عليه كبرى الشركات والمؤسسات ،بعد أن أصبح مادة إعلامية جاذبة امتدت إلى عدة أيام ،وتتدخل إحدى شركات الدعاية والإعلان لرعاية المزاد ،وتبدأ فى جنى أموال الإعلانات وجذب المشاهدين ،ويتطور الأمر

ويصبح مزادا رسميا له رعاة ،وبدأوا فى فحص الباب ،فيتضح أن الباب جزء من سيارة مسجلة أثريا ،كانت ضمن إحدى أساطيل سيارات الملكية ،فتتدخل وزارة الآثار طالبة الإستحواذ ،ثم تتبعها وزارة البترول والتى كانت تتبعها السيارة إداريا قبل اختفائها منذ سنوات بعيدة ،ثم تنضم كبرى الشركات العالمية لتوثيق هذا المزاد ،وتبدأ فى بسط نفوذها على المزاد فيتم إعادة فحص الباب ،فيكتشفون به لوحة ملصقة على جداره الداخلى تتضح أثريتها وقيمتها التاريخية، ومن خلفها رسوما هندسية لأحد القصور الملكية التى تم هدمها ،وبها منظرا لأحد سراديب مقابر الفراعين التى طمست معالمها ،وفى جوانبه يكتشفون مواد بيضاء متحجرة يظنون أنها "هيروين"،وبتحليلها يجدون أنها " مادة طبية نادرة جدا "استوردت من ألمانيا قبل أن تدمر مصانعها فى الحرب العالمية الثانية،فيتشعب الأمر وتحاول الحكومة المصرية إيقاف المزاد ،واستلام كل المتعلقات به عن طريق النيابة العامة التى أصدرت أمرا بإيقاف المزاد، وإعادة فتح التحقيقات فى وزارتى الآثار والبترول ،عما ظهر من وقائع ولكن تتدخل شركات الدعاية العالمية التى أشرفت على المزاد لدى حكوماتها ،التى تضغط على الحكومة المصرية وتجبرها على الإستمرار فى المزاد ، ويصبح أربع مزادات ،أبطالها الطفل والشاب الذين بدءا الأمر واستمرا به من أول يوم ،قبل أن تعيدهما شركات الدعاية برعاية كل منهما لمحاولة الإستفادة ،ثم يتضح أن والد الطفل كان يعمل سائقا بإحدى شركات دويلة خليجية ،فتأخذ منه الإمارة حق الرعاية والوصاية على ابنه ،وتدخل فى نزاع مع شركة أخرى تعاقدت مع طليقته أم الطفل ،وكذلك يتدخل أحد البنوك العالمية فى المنافسة بدعوى أن الشاب أخذ منه قرضا ولم ينتهى من سداده فيجبره على رعايته بديلا عن الشركة التى وقع معها العقد ،فيتنازعا الأمرحتى تصل المحاكم التجارية الدولية ،والتى تقرر أن المزاد أصبح قضية تجارية عالمية ،اضطرت معها عدة دول لتغيير قوانينها التجارية ،مما قد يؤدى إلى حروباتجارية عالمية،مما يستوجب فرض سيطرةمنظمة التجارة

العالمية على المزاد ومعروضاته طبقا لقوانينها ،ولا يصبح لمصر- حيلة إلا أن المزاد يقام على أرضها ،ورغم صدور الأحكام القضائية بعودة المعروضات إلى وزارة الآثار،إلا أنها لم تستطع تحقيقها خوفا من تهديدات الدول والمنظمة العالمية بفرض العقوبات عليها إذا نفذتها ،وتذهب المعروضات إلى الإمارة الخليجية التى فازت باللوحة الآثرية ،والمملكة المتحدة التى فازت بالمادة الطبية ،وأكبر شركات السيارات التى فازت بالباب وصنعت له جناحا خاصا كمتحف لعرضه ،ورصدت ملايين الدولارات لمن يجد السيارة الأصلية التى مازالت تحقيقاتها مفتوحة ولم يستدل على من استولى عليها من وزارة البترول ،وأين ذهبت و يكسب الطفل آلاف الجنيهات ويصير والده مندوبا لأكبر شركات الدعاية العالمية بالوطن العربى ، والشاب يرأس فرع الشركة الحائزة على الباب ،ويبقى السائق بالمحاكم لمحاولة اثبات ملكيته للباب إلا أنه يدخل السجن بتهم سرقة وإخفاء أملاك الدولة ....وتصير أملاك الشعب التى ظنها كراكيب بلا قيمة معروضات عالمية وتحف تزيّن أشهر الميادين والدول .

خمس أوزات

صرخات عالية دوت فى المنزل ليلا ،ولكن لم يستطع أحد أن يفيق ويذهب ينظر ،فهذه أصوات الإوزات اعتاد عليه أهل القرى والريف ،ولكن هذه المرة فى السحر وهنّ عادة نيام ،فقرر أهل الدار لأنفسهم أنها ربما قطط مرت من جوارهم وقضّت مضاجعهم ،فخافت على أبناءها فصاحت ،ولكن الصرخات لم تسكت .تخفت حينا وتزداد أخرى حيث استيقظت سيدة الدار قبل ميعادها بقليل على صوتهن قبيل قرءان الفجر، ولكنها لم تجد شيئا فى ظلمة القمر، وكلهنّ موجودات فلونهن الأبيض واضح جلى ،عدّتهن وكنّ كما تعودت واستغربت أمرهن ثم مرّ فأر هربا من إحدى زوايا البيت ،فأيقنت أنه هو السبب ،وريثما انفلق الصبح ألقت إليهم حبّ الصباح ،وراحت تعد إفطار الأبناء والعائلة ،ولكن شدّ بالها رقاد أحدهم الذى لم يستيقظ ،ورفضهم تناول الحب وخضرة البرسيم وكأنها تسمعهم ينتحبون ،فعادت إليهم وقلّبت الراقد ،ووجودته ممدا بلا حراك فصاحت :

- ماذا دهاك ،هل لسعت أم قدرك وحتمك ،ولا يمكن أن يكون الفأر قد عضك وهزمك ،وأخرجته من بينهم تقلبه ،فأبصرت بجسده أثر أنياب وزرقة فى جسده ،فصرخت أن لابد السبب ثعبان ،وجاءت رجال البيت يبحثون عنه ،فما وجدوا غير ثوب جلده عند مدخل عشهم ،إذا قد أتى هنا وأراد التغذى على إحدى بيضاتهم فتصدى له الزوج ،فتلكم الطيور يغار فيها الزوج ويدافع عن أهله ،وكانت التى تصرخ زوجتيه تعاضدنه وتنصرنه ،ومرّت مدة لاحظت أن الأوزة الكبرى زوجته الأولى أظلمت إحدى عينيها ،وأصبحت تنظر بجانبها ،فعلمت أن الحية قد رمتها بسمها بعدما قتلت الزوج قبل هروبها وانسلاخها من جلدها هربا من المعركة ، وفقست بيضتين فقط من كل ما وضعت الأمين ،وبعد أسبوع لم تخرج من الأخريات أوزات فكسرتها الأم ،فإذا الأجنة ميتة ورائحتها النتنة ملأت الحظيرة

،فجمعتها سيدة الدار وألقتها خارج البيت ،ومرت عدة أسابيع قررت فيها استجلاب ذكرا آخر لهما فلا يجب أن تبقيا بلا زوج مدة طويلة ،وبالفعل أتى ذكرا يافعا شابا ،رفضتاه أول أمرهما ثم تقبلتاه وكانت الصغرى أسرع فى ذلك ،فأخذ يغشيهما حتى أتى أوان الوضع ،فكانت للصغرى خمسة منه أمّا الكبرى فوضعت كعادتها منذ سنين اثنتين بعدما كانت هى وحيدة الأوز وتملأ البيت من بيضها ،وإذ يفاجأ أهل الدار بأنّها نقرت البيضتين واسالتهما ،وكأنها ترفض أن يكون لها من غير وليفها الأول ذرية ،وصارت على ذلك مدة ،فوضعت منفردة مع ابنيها ،واستلذت الأخرى بذكرها الفتى ،وإنها لهى إحدى بناتها التى استبقيت لتميّز لونها عن الأخريات ،فكبر الاثنين مع أميهما وقررت صاحبة الدار إبقاءهم أحياء لينجبا ذريات ،وتذبح لأهل البيت من أبناء الأخرى ،وكان منهما ذكرا فلمّا شبّ أخذته شهوة الشباب فألفى وليفته وغشّاها ،وكانت أمهما دائما تضع بيضتين لا تنجبان ،وكأنّها قررت ألا تنجب ذرية بعد استشهاد زوجها دفاعا عنهم ،وإن عاندتها طبيعة الأنثى فتضع بيضتين بلا تلقيح ،وذات يوم سقطت فواصل العشش فصارت معركة وطيسة بين الذكرين هدما خلالها العشش وأفسدا حتى بيض الدجاجات ،فتقرر ذبح أحدهما ،فلما احتار أهل البيت، قررت السيدة ذبح الآتى الغريب ،فذبحوا الذكر المستجلب من خارج البيت ،فهو الذى تعدى وأراد السيطرة على البقية ،فهذا جزاءه وصار الإبن راعى الأوزات الثلاث ،وكان منجبا فكانت تأتيه بزوجات بكر من الجيران ،لتحسين نسل أوزهم ،وعاشت الأم بعين واحدة ترعى الجميع ،فغالب الوقت كانت هى التى ترقد على البيض جميعا الذى جعلوا معا كبيت أوزات واحد، حتى بإضافة زوجة ثالثة له- تغنى الذكر عنها- ،فلما انقطع بيضها وتأففت نسوة الجيران والبيت من منظرها العجوز وهى العوراء ،كأنّها فأل سيء ،يريدون كل شهر ذبحها

أو تسريبها من البيت ،فتنهاهم سيدة الدار فكيف يتخلون عمن عايشتهم فى عزّ غناهم وقلة حبوب حقولهم ،وكانت لها من الذرية ما استطعم منها الجميع وربحوا ،فلا وألف لا على ذبحها ،فلتبقى وليذبحوا أيّا ما شاءوا إلا هى ،فهى كسيدتهم تبقى سنينها حتى يأتيها أجلها ،وقد أتى ذلك اليوم فوجدوها تمنع الأكل وتنتحى بجانب العشة، فأخذتها ووضعتها فى سلة العيش الكبرى ووثّدتها لها بحزم البرسيم الأخضر- وقليل من الماء بعدما حاولت إطعامها بحب القمح والذرة جبرا ،كما كانت تفعل مع كل صغار الطير والحيوانات ،فلا تدخل جوفها ....وبقيت أياما ثم ماتت ،ومن بعدها لم تهتم الأوزات لبيضاتها فكانت كل شهر تفقد ثلاثة أرباع الذرية ميتّة من قلة الأمومة ...فلمّا وجدت سيدة الدار حال الأوزات الجديدة كذلك لا تهتم إلا لنفسها ،قررت ذبحهم جميعا فى يوم واحد ،وأبقت الزوج لعلها تجد له أوزة كجدته الراحلة ،وفاتت مدة طويلة حتى أتتها إحداها هدية ردّت إليها ،وكانت من حفيدات جدة الأوز الراحلة ،فاستكملت الحظيرة طيورها فهى أشرف الطيور المنزلية ،وأحرسها للبيت فإن احست بدخيل على البيت صاحت وصرخت،فلا لص أو حيوان يقرب البيت إلا قاتلته فترده خائبا أو جريحا أو مقتولا.

شقاوة صغار

كان جروا صغير أهدى إلى الطفل الصغير ،وكبر معه وكان يخيف به أقرانه حينا أو يلاعبهم معه أحيانا، فقد تربى على يديه يحمّمه ويطعمه ،حتى كبرا وصار يخرج خلفه إن خرج، ولكنه كان يعيده خوفاأن يبتعد عن البيت فلا يعرف طريق العودة، إلا أنه أخذ يتتبعه فى ذهابه وغدوه من مكان إلى مكان ،وكان كذلك منذ صغره فقد فوجئ يوما وهو خارج من المسجد بعد صلاة الظهر ،أنه جالسا ينتظر ،فما إن وصل إليه حتى همّ واقفا يدور حوله ويتمسح بأسفل قدميه ،وليته علمه شيئا جيدا ،إلا أنه أعلمه عادة سيئة ،كانت سببا فى هلاكه ،إذ أنه دربه ،كما كان يفعل هو، فإذا وجد أحد أصدقائه أو أقرانه يمر أمام بيته، أن يتسحب خلفه بلا صوت ،ثم يخيفه فينفزع أو يسقط أرضا ،ثم يتجاروا خلف بعضهم البعض يلعبون ويلهون، وكان هو معه فى ذلك ،ثم كان يستخدمه فى إخافتهم ،فبرع فى ذلك ما إن يشير إليه ،فيرقد على قدميه زاحفا خلف من أشار له عليه ،فما إن يشعر به تحت قدميه فينفزع رعبا ويصرخ مبتعدا ،وصاحبه يقهقه من ذلك ،فلما كبر حاول منعه عن ذلك فامتنع قليلا ،إلا أنه فوجئ به يمتنع أمامه فقط ،فإن خرج بمفرده أمام البيت راح يزحف خلف الغادى والآتى ،ثم يعضهم من كعب قدمهم ،فلما فعلها ذات مرة مع امرأة سقطت بحملها وحمولتها التى فوق رأسها على الأرض ،وهاج الجميع على والد الصبى،وأمروه أن يربط هذا الكلب السىء الخلق ،وربط بجوار حظيرة المواشى ، وكلما ربطوه وسع الصبى له القيد خوفا عليه ،فينسل بنفسه وفى آخر مرة ربط بحبل من كتان فى رقبته ،بقى به أسبوعا يحاول الفكاك فلا يستطيع ،وكذلك صديقه لم يستطع توسعته عن رقبته فيديه صغيرتان تتجرح من الحبل ،وكذلك أثّر فى رقبته ،فأصبح حزازا حولها حتى أصبحوا يوما فوجدوه مقلوبا على رأسه مخنوقا فى حبله ،كأنه كان يريد الفكاك ليلا ولكنه انعدم وكم تخيله صاحبه يتلوى طوال الليل محاولا النجاة من خنقة الحبل فيبكيه بشدة ،فقد ذبحه وهو الملام ،لقد كان هو الذى أعدمه بسوء أدبه له ،ومن بعدها لم يأتى بكلب آخر خشية عليه من الموت بسببه .

نازل النخلة

ذات يوم خريفى أخذت أحد الأطفال سنة نوم بعد صباح طويل من اللعب والتجول مع الزارعين فى أرضهم،واستيقظ فإذا المؤذن ينتهى من رفع نداء صلاة العصر ،ونظر حوله فوجد نفسه فى عمق البيت بمفرده،أخذ يبحث عن الآخرين فلا أحد ،التلفاز ذو الإطار الخشبى مغلق ،الحجرات فارغة ،كل شىء على الكنبات، الوسائد الطرح أكواب الشاى ،يوحى بأنهم هنا ،اتجه للباب الداخلى للدار وجده موصدا من الداخل ،وكان ذاك الباب ما إن يحركه أحد أو يلمسه شىء ما، أو حتى نسمة هواء نازلة من فتحة أعلى السلالم المقابلة له ،فيكر عائدا إلى المغلاق فينغلق،ولذلك ربط به حبل يشد من الخارج فيرتفع وينفتح وأمسك ذكر المغلاق رافعه لأعلى ولكن الباب لم ينفتح فهزه فانغلق ثانية ، ووجد المغلاق الخارجى موضوعا فى حلقته فعلم أنهم كعادتهم ،خرج الرجال للجلوس على مصطبة البيت الخارجية أو تحت شجر الصفصاف على شاطىء الترعة، يتنسمون هواء العصارى ،والنسوة تجمعنا فى الحوش الموجود فى أحد جوانب شارع البيت الداخلى التى تطل عليه خمسة بيوت لهم، أمسكوا بالشبّ -"العجل الصغير"- لإعلافه بالفول المنقوع من ليلة أمس لتسمينه وتغذيته تمهيدا لبيعه ،وقد تعود إمساكه مع أمه وجدته وإرقاده أرضا ،وربط أقدامه بحبلين ،وربما أتت نسوة أخريات لتساعد وتتسامر معهم الأحاديث وتنقل الأخبار إليهم وتأخذ أخرى بديلة عنها ،وراح يصيح صيحة غضب وحزن ،فقد ألف مشاركتهم ونادي بأعلى صوته، ولم يجبه أحد ،ويتسمع الأحاديث فيجدها لنسوة عديدة فعلم أنهم ملتهون بلذيذ الأخبار والسير ،وتركوه نائما كى لا يعكر عليهم أو يختلس الأسرار منهم فقد كبر وشبّ عن طوق الطفولة البريئة ،وتظهر فى عينيه إمارات الفهم والإدراك ،وقرر أن لابد من الخروج ولكن كيف والباب موصد من الخارج والداخل ولا حيلة إلا بقدوم أحدهم ولمّا يأس من إجابة النداء صعد لأعلى البيت ،لعله ينظر

من شرفاته ،فيرونه أو يسمعون صياحه، وفعل ذلك وكأنهم فى آخر البلدة ،فقرر أن يكمل أعلى السطح وينادى ، ولما وصل هناك فاجئته غصون النخلة متدلية على السطح وكم تمنوا أطفال البيت كثيرا أن تأتي لشرفة من الشرفات فى تمايلها اليومى من شدة الريح فيأخذون منها التمر بلا تعب ،وكانت نخلة طويلة جدا ،مهما حاولوا قذفها بالأحجار والأشياء لتساقط عليهم رطبها فلا تصل مقذوفاتهم لنصفها ،ووجدها فرصة لا تعوض ،فإنها توشك أن تبتعد وأخذ يجمع من رطبها ويابسها حتى نزع سباطة كاملة على سطح البيت وفرع من أخرى مدد إليه يده، فطالها وأمسك بها بكلتى يديه، وكأنه يقبض على صدر صبية ندية فيرتجف ،ونظر أسفلها فإذا النسوة ملتهيات بإعلاف الشبّ، وهناك الجيران لا تلحظه منهن امرأة كما اعتادت عند صعدوه فيحذروه من السقوط ويهبّون صائحات على أمه ونساء البيت ،أن تركوه يصعد بمفرده هناك لأعلى سطح بالبيت،ولأول مرة يجد نفسه منفردا ،وكم رأي طرّاح النخل ينزل ويركب نخلات كثار ،فحدثته نفسه بفعل كفعله ،ولكن كيف وجذعها أمام باب البيت المغلق ،وفجأة أتت ريح شديدة فشدتها وهو معها ،وكاد أن يسقط لولا أن تركته سباطاتها وجريدها ،فأخذت تتراقص غادية وآتية ،وألقى نفسه فى علوها يمسكها وركبها من أعلاها كفرسة تعلق برقبتها ،ولكنها ما عادت إلى علوة السطح ،وإنما تمايلت مبتعدة وارتعشت فرائصه خوف السقوط ،وطوقها بذراعيه فأصابته أشواك جريدها الأخضر- واليابس ،وتوجع ودارت رأسه ماذا يفعل فإن صاح فلا سامع يجيبه، وبقي عليها تتراقص به يمنة ويسرة وانتظر أن تعود إلى سطح الغرفة الخارجية أو حائط السلالم العلوية فيلقى نفسى- على أحدها وينزل، ولكنها لم تفعل وكأنها أتتها فرصتها ،فكم ضربوها بعصى- وأحجار من سافلها وأعلاها ،وهدأت الريح وتوقفت منتصبة وصارت فى عنان السماء ،وأتته برودة الجبن ماذا يفعل به لو نادى وأنزلوه عنها ،فهم لابد ضاربيه ضربا مبرحا شديدا لا يطيقه ،وأكيد بجريدة خضراء منها ،تلهب الظهر والخلف ،وإن تركت نفسه

فسيسقط أرضا ويموت، فتشجع وقرر البقاء وتشبث بها ،وراح يفكر مرتجفا ماذا سيفعل ،ثم بعدت عنه المخاوف ،فالمنظر من علو لأسفل ممتع ،يراهم هناك يجلسون يرتشفون شاى العصر- على شاطى الترعة تحت ظلال الأشجار ومن بعيد يرى العائدين من الحقول ،وعلى الأغصان تتطاير العصافير وتتجمع مع القرادين ،وصار كمثلهم عصفورا على شجرة ،ثم اهتدى لحلمه أن يطلع النخلة وينزلها بلا حبل كطرّاح النخل ،وقرر النزول وتحسست لقدميه مواضعها ،فجرحتا أول الأمر وأنزلق بالأخرى ،ويداه متشبثة فى الجريد والسباطات ،وبدأ يتمرن هابطا ورافعا نفسه،وجسده متصلب فى مكانه فلمّا تعلم الإمساك بها ووضع قدميه على مواضعها الصحيحة ،تجرأ ونزل فكانت أول نزلة كدهر من الجرى ،القلب يرجف والصدر تتصاعد أنفاسه ،ثم هدأ بعدما نجح بالنزول ،وظلت يداه تتنقل بين أغصان الجريد القديمة المقطوعة ونزل أخرى وثالثة وفى الرابعة ..... وفى الرابعة ارتفع صاعدا عائدا لموضعه السابق ثم نزل لثالثتها كما كان. لقد صار ماهرا متقنا نزول النخلة وصعودها وهبط حتى قرب من منتصفها وأتته نسائم عطرة بطعم التمر ورياحين السنط وقطرات هاربة من ماء الشط فانتعش وراح يمسكها بيد واحدة ،وترك الأخرى ،فكاد يفرّ ، ولكنه صار كأمهر نازلى النخل وطالعها ،وتلفت حول الدور فرأى صبية تستحم وتتراقص وتغنى ،ولم يتبين منها سوى ربع نصفها العلوى، وعلى مقربة أكثر أبصر- ربة بيت ،تتلفح ملابسها الخارجية وكأنها استيقظت صبيحة يوم لا آخره ،والطيور مرحة تدور وتلعب ،والديك يغشى- دجاجاته ،وعلى البعد يرى الصبيان بالكرة يتلاعبون ،وافتقد مكانه معهم بنومه الطويل ،حتى خضته صيحة صراخ رفيعة أنثوية ،فإذا الصبية قد رأته فغطت نفسها بالثياب ودعت عليه أن يسقط فتنكسر- رقبته، مبتسمة بعينين لا تؤمّن على دعائها ،وأغلقت ستائرها قليلا ثم عادت وفتحتها تسائله :

- أنت طلعت هناك إزاى ثم تمنت منه تمرا رطبا ،مما جمع وكانت سيّالات جلبابه مليئة منه، أكل الكثير بعدما اطمأن قلبه بعدم السقوط ،وراح يطوّح يده بجبات الرطب إليها ،يصلها القليل ويسقط أكثره بعيدا ،فتتهمه بالخيبة ،ونزل درجة أخرى فانتصبت عينيه فى ناظرى المرأة ولطمت على خديها
- كيف صعدت كل هذا العلو ،وتبسمت قليلا مرددة بعدما أبصر زوجها هابطا سلالم بيتهم خارجا من غرفتها:
- أوعى تكون شفت حاجة ،ومتقلش لحد على حاجة ،،ثم ألقي إليها بجبات تمر ورطب ،ولكنها خدعته فراحت تصيح منادية على أمه، وارتجف قليلا فلما تيقن من عدم سماعهم لها دعاها للنداء بأعلى صوتها فلن يسمعها أحد :
- ما تخبصيش علىّ ،وأنا مش هأقول على اللى شفته ،واتفقا على ذلك بعدما أخذت تقبض على شفاهها،وعدّلت من وضع ثدييها بعدما فتحت أعلى جيبها وأنزلت سحابها من قمة إغلاقها التى رفعتها إليها منذ قليل—وكان قد رآها تبدل ملابسها الداخلية العلوية قبل الخارجية فطلّت منها أثدائها ، وظنّ أنّ هذا هو السر الكبير لديها .وأكمل نزوله من على النخلة ورأي بعض الأقران يحاولون فتح الباب فلا يستطيعون الوصول لحبل المغلاق ، فأخذ يقلد صوت الكبار ،وكتم أنفاسه ولأول مرة يتحدث بدون فتح فمه، فارتعبوا بعدما داروا حول أنفسهم ولم يجدوا أحدا ،ورأي آخرين يبحثون خلف الدجاجات عن بيضهم ويقرروا دسها بعيدا عن الآخرين وعنه هو بالأخص فراح يتلصص عليهم من علو، وعرف مخبئها وقرر استلابها بعدما ينزل ،وها هوا جروه الصغير يتجول بالبيت يغادر للشارع عند الكلب الأكبر ويعود يبحث عنه وهو يناديه ويصمت ،ثم يصفّر له فيأتى كما تعود فلا يجده فيخرج ،حتى اقترب من الدور الأول ووقتئذ وجده بشم رائحته، ثم رآه وأخذ يتقافز يحاول

أن يصعد النخلة ورائه متوهما أنه صعدها وتركه ،وراح ينبح نباح الصديق ،وما إن همّ أن يصل للأرض ،فوجئ بنسوة الدار عائدات ففتحن الباب واندس هو فى النخلة ملتصقا بها صامتا بلا حراك،والجرو ينبح خلفهم يرجوهم أن ينزلونه ،فلما اختفوا وتيقن من عدم عودتهم هبط بطيئا بطيئا ،وما إن وطئت قدميه الأرض وجد إحداهن قد رأته وصاحت فى الأخريات أنه يحاول صعود النخلة وتصيح :

- وماذا لو انزلقت أو قطمت رأسك بعد السقوط، وأخبرهم أنه كان يحاول فقط ،وأتت أخرى مسائلة :

-كيف خرجت ؟وهم قد تركوه نائما ولم يوقظه أحد وتحايل عليهم أنه خرج خلفهم بعدما فتحوا الباب الآن ،وراح يتحين الفرص للمكوث بالبيت منفردا ،لعله يعاود الكرّة وينزل النخلة من أعلاها ،وكانت الرهبة منها قد اختفت فراح يصعدها من أسفلها حتى أعلى سقيفة حوش البهائم والذى نصبت عليه جذوع الشجر للتظليل عليهم وأطرافها الأخرى على عروق من الخشب شدت ما بين النخلة وفتحتين فى الحائط المقابل لها ،ورأته جدته يصعدها يوما وينزل فطالبته بنشر- حزم النعناع المغسول وقطوف الملوخية التى ستحتفظ بها وتجففها بعدما طبخ بعضها الأخضر- ،ولما علمت بقية النسوة كن تأمرننه بوضع المفارش والسجاجيد فوقها لتجف وأحيانا فى أيام ابتعاد الشمس عن الأرض برص مقارص العيش عليها وحراستها من الطير والعصافير ثم انزالها بعدما تخمر وهكذا ... ازدادت مسئولياته وكان يغيظ بها الآخرين من صغار وذات يوم وهو هابط من أعلى البيت على السلالم فوجئ بجذعها قد اقترب على حائطها ،فانتهزها فرصة ولم يتحسب لكثرة النساء بالبيت ،وركبها وما إن بدأ ينزلها إلا وصاحت به إحداهن فجذبت انتباه الأخريات وصرخن كلهن فيه، النازلات على السلالم واللاتى كن بالحجر ومن كانت أسفل النخلة فى صحن البيت فعاد

سريعا وعدّل من وضعه، واسند قدميه على الحائط وساعدته واحدة من النازلات ودلف سريعا على السلالم بعدما أتت أخرى لتضربه بعدما عرّض نفسه للموت ،وجاء الرجال على صوت صراخهن وحكين لهم فأقسموا أن يضربوه ضربا مبرحا وصعد أحدهم على السلالم يستطلع أمرها فاتخذ قرارا بأنها أصبحت خطرا على البيت ويجب قطعها والكل وافق بلا تردد إلا هو، ولكن لم يأبه لرأيه أحد واصدروا أمرا بمراقبتها والتحسب من الجلوس أو المرور أسفلها ومن الأطفال وبالأخص الطفل الشقى والمقصود هو ،وبعد بضعة أيام أتى طرّاح النخل وركبها بحبله الملفوف على وسطه وحولها وصعد حتى ثلثها الأخير ثم أخذ يحذّها بمنشار ويقطعها بقدوم من أجنابها وهبط سريعا وكان قد ربط رأسها بحبل متين ،فما إن نزل أمرهم بمسك طرف الحبل الطويل جميعا والشد معا من خارج البيت بعدما رمى به من أعلى سقف وجدار مقابل فخرجوا ناحية الطريق العمومى وبجوار الترعة تحلقوا وأمسكوا بالحبل وشدوا شدة قوية فكادت أن تميل كلها معهم حتى انثنت للجهة الأخرى فطلبوا المساهمة من آخرين فأتوا ولّما وجدوه ينظرهم أمروه بمسك طرف الحبل من خلفهم ،وظلوا يشدون ويتراجعون للخلف حتى كسرت عنقها فهربوا مكبرين ،ووجد نفسه يطير معها مجرورا على الأرض فتضاحك الجميع بعدما أمسكه آخرون من قدميه، حتى لا تخطفه نفسها فيموت شهيدها وقهقه آخرون والتراب لون وجهه ،وأكمل طرّاح النخل قطع جذعها وترك آخره منتصبا كطلب أهل البيت لعله يفيدهم فى جمع الطيور حوله داخل عشة صغيرة تنتصب تحته أو يمدون حبلا للغسيل عليه ،وكانت بداية قطع كل النخيل الطوال بتوجيهات حكومية بذلك خوفا على الناس بعدما سقطت أخريات فوق بعض الدور مع شدة الرياح الربيعية .

جعران الحظ

فى معبد الكرنك تتواجد البحيرة المقدسة وهى التى شاع عنها أنها تتحقق بقربها الأمانى فأصبح الزائرون يلقون عملات معدنية بعد أن يضعوها على فمهم متمنين شيئا ،وذات يوم ذهب معلم مع بعضا من طلابه فى رحلة مدرسية،فتجولوا بقربها بينما شد انتباههم آخرون يطوفون حول عمود صغير فظنّه حورس الصقر ،فلما اقترب منه وجد عليه مجسما لكائن آخر ،و بالتمعن وجده خنفسا ،فسأله الطلاب عن وقوفه أمامه وعن هؤلاء الذين يطوفون حوله ،فلم تكن عنده معلومة برغم أنه زار المعبد كثيرا فلم ينتبه له إلا هذه المرة ،فقرر أن يستفسر من أحد المرشدين ،فدله وتعجب من المعلومة ،وعند آخر النهار وهم على وشك المغادرة بحث عنهم فوجدهم جميعا مشدوهين أمام الطوافين حوله حتى الزملاء والزميلات من معلمين ومعلمات ،فلما أخبرهم بما علم أخذتهم الدهشة ،واستنكر البعض تشبيهه بطواف الكعبة فهم يطوفون سبعة أشواط كذلك ،ولّما أراد الطلاب التقرب منه والتمنى بعدما فعلوا بقرب البحيرة منعهم من الطواف ،وإن لم يمنعهم من ملامسته،وبعيد فترة الإستراحة فى طرف من بهو الأعمدة لتناول غداء الرحلة والتأمل ،تبعثر الطلاب كل فى وجهة ،من يتضاحكون ومن يغدون ويروحون ،فلمّا قرب الرحيل وحل غروب الشمس راحوا يجمعون شتاتهم فافتقدوهم وإذ يجدونهم قد كونوا حلقة حول الجعران ويغنون الثعلب فات فات وفى ديله سبع لفات ...وانضم إليهم كل السائحين الذين دخلوا من قريب يصفقون ويرددون خلفهم ظنّا أنها التعويذة الفرعونية ،والكل فرح ومسرور فمنعوا أنفسهم أن يعكروا صفوا الجميع وجذبتهم اللحظة فانضموا من فورهم وراحوا يلقون عليهم أقوالا موارية ضد الحكومة وهم يرددونها وكانت دقائق مبهجة وسعيدة وتضاحكوا وفرحوا ،ثم غادروا وشكروا من قبل المرشدين فقد أمتعوا الزائرين بتحلقهم حول الجعران فقد انجذب إليه الجميع وأخذوا يلتقطون الصور التذكارية بجوارهم، و كانت الشمس تغيب وألقت عليهم

جميعا ظلالها الصفراء بأشعة حمراء ذهبية ،وهبت رياح ربيعية مفاجاة بعد يوم طويل من الحر وغادروا ولا يدرى المعلم ما أتاه من إحساس غير عادى كأنه عاد ألفى سنة يجلس بهذا الحرم المقدس تظلله خيوط الغروب ويراها تنغمر فى حواف البحيرة كما رآها صباحا ترتفع من مياهها ،وكأنّ هناك من أتى صباحا وغادر ،ويخرون يهبطونإليها ليلا ،ولم يعد يفته بعد ذلك فى ايما زيارة أن يقف أمام هذا المقدَس .

كلب أصيل

مر أسبوع على وفاة كلبهم الأليف الذى انحدر من أم أجنبية وأب مصرى ،كانت أمه ضمن الفرقة الإنجليزية فى قناة السويس أثناء الحرب الثانية - وهناك كان جدهم بقرية التل الكبير يعمل فى حفر الترع فاخذ واحدة ممن كانت ضمن حرّاس المعسكر ثم جلبها معه بعدما لقحها من كلب بلدى كان لديهم هناك،وأخذهم معهم عندما قرروا العودة لأرضهم ودارهم فى صعيد الوطن ،ومن هذه الذرية عاش هذا الكلب حتى بعد وفاة الجد ،اتصف بقوته وشجاعته وفى ذات الوقت طيع يأكل عندما ينادى عليه ولا يسرق أكله ولا يرضى بالجيفة ،وكان أطفال العائلة قد عرفوه كما هو كبيرا قويا ما جرؤ كلب أن يتعدى حدود بيتهم أو شارعهم إلا إن كان صديقه ،وقبيل هذا الأسبوع كانت قد مرت عليه السنون فظنوا أنه بلغ مائة عام ،حينئذ تكاثرت عليه فى ليلة شتوية كلاب مرتحلة خلف أنثاها ،-والتى كأنها رغبته دون الآخرين -فهدّدهم وتصدى لهم وفرّقهم وهربوا من أمامه خائفين ،وابتعد عن مكانهإلى أرضهم وهناك داروا عليه ولكنه تصدى لهم وعاد منتصرا وما كانوا ليجرؤا على الإقتراب من دار أهله فى عنفوان شبابه ،وقبيل انتهاء فصل الشتاء كأنهم اتفقوا عليه أتوا فى ليلة باردة مطيرة من شهر طوبة ،وقاتلوه منفردا وكانت معركة حامية الوطيس ولكن الجو شديد البرودة ودفىء الفراش منع أصحاب الدار من إغاثته فلمّا أصبحوا وجدوه ممضخا فى دماءه يرتعش من جروحه تحت سقيفة مدخل البيت ،فأخذوا يداوه شهرا ومنعوه من الخروج واشتد عوده وعاد عؤاءه يملؤ الجو ،وكانت تأتيه كلاب أصغر وأسنّ منه صادقته وأخرى من نسله وكأنهم تجيّشوا خلفه للثأر ،وإذ بليلة ربيعية خرجوا فى سحرها إلى أرض الأعداء وكانت معركة طارت لها جفون النائمين ،وعاد منتصرا مجروحا وأكل كثيرا مدة هذا الأسبوع والجراح تنزف يوما وتجف يوما ،وهو ينام فى نهاره فلا تسمع له وأما بالليل فلا يجرؤ غريب أن يقترب من باب الدار وافتقدوه ليلة ،وأخذوا يبحثون

عنه وصبيحة اليوم التالى وجدوا جثته أسفل شجر الصفصاف على شاطىء الترعة أمام بيت صاحبه ،دلهم عليه جموع الكلاب التى أتت تودعه و كانت تجلس بجواره فى خشوع ،فما علم أحد من الناس إلا حزن عليه أشد الحزن ،فقد كان جليسا للجميع ما جلسوا على مصطبة البيت أو تحت أحد شجره على شاطىء الترعة -وكم أعقب لهم من جراء -،وتمنوا لو أنهم يحفرون له قبرا دونا عن بقية الكلاب ،وبالفعل حفروا له حفرة على طرف الشاطىء أسفل سنطة وصفصافة اعتاد أن يقبع تحتهما كل صباح بعد مناوباته الليلة .

شجر الروح

لن يصدق أحد يوما أن تكون روح انسان مرتبطة بشجرة أو كائن ، فقد كانت بإحدى القرى شجرة عتيقة من شجر الجميز يأكل منها الكل ،ويتعجب من كبر جذعها وقدم عهدها الجميع فمن قال أنها بلغت مائة عام وأكثر ،وآخرون قرروا أنهم ولدوا وشاهدوها كبيرة مورقة الأفرع يأخذون منها للتعريش أو التدفئة ،ولا تتأخر فى ثمرها عام بعد عام،حتى أتى يوما توفيت إحدى عجائز القرية، وكأنّها أخذت من الشجرة روحها فذبلت أغصانها وامتنع ثمرها عاما ثم خار جذعها وسقطت وصارت طللا يترحم على أيامها الجميع ،وتلكم شجرة أثل زهرها أعطر من الرياحين اخذت تفارقهم يوما بعد يوما فسقطت اوراقها ولم تعد وجفت اغصانها وإن بقي عطر زهرها فيها ،يخرج رغم عن كل شيء ويمرون من أمامها ويجدونه يجلس أسفلها يحيّونه بالسلام وباسمه، فيرحب بهم وهو لا يراهم، وإن جلسوا بجواره يسآلهم عن أهلهم وأجدادهم فما إن يعلمهم حتى يترحم عليهم وعلى الأيام الخوالى معهم ،فمنهم من زرع معه أشجار ماتت بموتهم ،وها هو تقترب أيامه فإن دعوا له بطول عمره رفض التمنى ويقول :

- عمرى أنا وهذه الشجرة واحد ،يوم أن تموت أموت ،وذات يوم مروا بها ووجدوها قد رقدت على أغصانها ،وجذورها غادرت أرضها ،وفى أخر النهار تجمع الخلق أمام داره فهو أيضا رقد على فراشه ،وعلموا أنه يوم الرحيل فقدأخذ روحه من الشجرة وغادر .

هرة أبو هريرة

جاء فى الأثر أن القطط لا تنجس ماء الوضوء والإغتسال وإن ولغت فيه ،وكذلك إن صارت أمام المصلى لم تبطل صلاته ،وإنها لحيوان طاهر وقيل أيضا أنها هى المقصودة بآية:

"طوّافون عليكم بعضكم على بعض " ،و إمام الحديث أبو هريرة انتسب بها فقد سمى كذلك لأنه كانت له هريرة يرعاها وترعاه فتذهب معه فى كل حين ،حتى أنها لكانت تجالس معه النبى مُحَمَّد ﷺ بل إنه كان يدفئها فى كم قميصه.ولدينا القطط كأنّها مولودة معنا فلا ترى بيت من بيوت القرى يخلو من قطة ،وكم هى جميلة فى البيت وكيف أنّ المصريون القدماء اتخذوها كإحدى الأرواح المقدسة فى حياتهم ،وكانت هناك فى البيت الكبير قطة تؤى لطفل فى فراشه ما إن يضع رأسه على الوسادة ،وهى لم تكن تأكل الموات ولا حتى تلعب بالخوارنق الصغيرة كغيرها اللاتى كنّ يتعلمن الإقتناص فى صغار الأرانب ولا يأكلهن ، إلا واحدة لم يعلموا من أين أتت ،اندست وسط القطط التى كانوا يرعونهم فى بيوتهم وبقيت وسطهم وشكوا فيهم كلهم فإذا أصبحوا يجدون أمامهم أو بجوارهم الخرونق مخنوقا أو مقطوع الرأس ،وبذنبها ماتت تلكم القطيطة البريئة، ففى أحد الأيام وجدوها ملاقة على سطح جار من الجيران ،وافصحوا لهم أنهم ضربوها ضربا مبرحا فماتت بسبب شكهم أنها هى التى أكلت فرخ حمامهم ،فلمّا حزنوا جميعا عليها قرروا البحث عن المجرم بين قططهم الأخرى ،وبعد جهد وترقب علموا أنها الغريبة تنسل من بينهم ليلا لتذهب ترتكب جرائمها فضربوها وطردوها من بيوتهم، وحزنوا على البريئة ،فقد كانت من سلالة بلدية نقية جدّتها كانت بالبيت منذ ثلاثين عاما أو أكثر ،ورغم كثرة القطط لديهم لكنهم لم يجدوا مثلها فكأنّها آخر سلالتها ،ومهما جاءت غيرها وهنّ كثر يمكثن بدارهم دونا عن بيوت الآخرين لم يشعروا بحنوهم وقربهم كالذى رحلت، أو ربما تكون كما قيل فى بعض الحضارات إنها روح الأجداد تتمثل

فى قطة ربما كانت بينهم وغادرتهم ،وانتظروا كثيرا عودتها ..حتى أتتهم إحدى أرواح الراحلين ففرحوا بها وتوددوا لها فسكنت نفسها إليهم وعمّرت دارهم.....

وقد ورد فى الأحاديث :"وحدث عن مالك عن اسحق بن عبدالله بن أبى طلحة عن حميدة بنت عبيد بن رفاعة عن خالتها كبشة بنت كعب بن مالك وكانت تحت ابن أبي قتادة الأنصارى أنها أخبرتها :أنّ أبا قتادة دخل عليها فسكبت له وضوءا فجاءت هرّة لتشرب منه فأصغى لها الإناء حتى شربت قالت كبشة : فرآنى أنظر إليه فقال أتعجبين يا ابنةأخى قالت: فقلت نعم فقال: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إنها ليست بنجس إنما هى من الطوافين عليكم أو الطوافات . "رواه مالك وابوداوود ،والترمذى ،والنسائى "

وكذلك ورد "حدثنا عبدالله بن مسلمة حدثنا عبدالعزيز عن داوود بن صالح بن دينار التمار عن أمه أن مولاتها أرسلتها بهريسة إلى عائشة رضى الله عنها فوجدتها تصلى فأشارت إلىّ أن ضعيها فجاءت هرة فأكلت منها ،فلما انصرفت أكلت من حيث أكلت الهرة فقالت إن رسول الله ﷺ قال إنها ليست بنجس إنما هى من الطوافين عليكم وقد ايت رسول الله ﷺ يتوضأ بفضلها " رواه ابو داوود.

وأتى أيضا "حدثنا عمرو بن رافع أبوحجر وإسماعيل بن توبة قالا حدثنا يحى بن زكريا بن أبى زائدة عن حارثة عن عمرة عن عائشة قالت كنت أتوضأ أنا ورسول الله ﷺ من إناء واحد قد أصابت منه الهرة قبل ذلك ، والهرة لا تقطع الصلاة لأنها من متاع البيت "رواه بن ماجة

أما عن أكلها فقد ورد "حدثنا الحسين بن مهدى أنبأنا عبدالرزاق أنبأنا عمر بن زيد عن أبى الزبير عن جابرقال نهى رسول الله ﷺ عن أكل الهرة وثمنها ".

غير الحديث المشهور عن المرأة التى دخلت النار فى قطة حبستها فلا هى تركتها تأكل من خشاش الأرض ولم تطعمها .

السلعوة

فى ليلة قمرية ومن بعد صلاة العشاء قام أحدهم فى المصلين منبها عليهم الحذر وإحاطة أهلهم ومن يقابلون بأن رجلا وهو عائد بعد المغرب من حقله رأى سلعوة هابطة من الجبل وعلى الجميع الإنتباه والتسلح ،وكانت تلك من الليالى التى تقطع فيها الكهرباء من العشاء حتى الصباح ،وراح يجلس فى ضوء القمر مع الجالسين بعصّيهم وشومهم وأسلحتهم من سيوف القصب وقداديم وحراب وقليلون ممن حمل بنادق استعدادا لسهرتهم فى الغيطان لرى الأراضى .ولما تسآل الصغار عن معنى السلعوة ،علموا أنها أول الأمر كانت لفظة تطلق على أنثى الذئاب او الضباع التى ولدت وجاعت ولا تجد فى الجبل ما يسد جوعها هى وصغارها فقررت هبوط القرى القريبة لجمع غذائها من طيور البيت وحيواناتها من خراف صغيرة أو ماعز نسيت منفردة خارج الأحواش ،حتى أتاهم خبر من سنوات بأنّ أحدهم فى قرية غير معلومة من قرى الجبل رآها رأى العين بل بالأحرى زوجته هى التى قتلتها فقد كانت ممن سكن آخر القرية من ناحية الجبل بعد زواجها ،وانجبت أول مولود لها وأثناء تجوالها بين داخل البيت وخارجه لإحصاء وجمع دجاجاتها وأرانبها وجدت فجأة فى مدخل البيت تلكم الوحشة ،تقف بجانب المصطبة التى أنامت عليها وليدها ،فصرخت فيها منادية على زوجها فلم تتحرك السلعوة وما كان من الأم إلا أن أخذت الطريّة – وهى أداة الزراعة الأساسية أكبر من القدوم ويدها أطول- والتى كانت منصوبة على باب البيت من الداخل وأهوت عليها بعدما هاجمتها قافزة عليها فلما أتى الآتون على صرخاتها وجدوها ممدة والدم يشخب من ذراعها وقدمها ،وعلى مقربة منها رأس السلعوة. فحملوها للوحدة الصحية وطلبت ولدها فوجدوه نائما فى سلام وأمان ووضعوه معها وحثّهم الطبيب المقيم بسرعة نقلها لمستشفى البندر بعدما أجرى لها تطهيرا بسيطا بقدر ما لديه من إمكانات ،لتتلقى حقن مضادات نهش الحيوانات الضارية ولا تتوفر بالوحدة ،ثم تحلّق آخرون حول

القتيلة ووضعوا رأسها بجوار جسدها ،فتبيّنوا أنها هجين ما بين الثعالب والكلاب والضباع ، فقدماها الأماميتان طويلتان والخلفيتان قصيرتان ،ينحدر ظهرها للخلف كهيئة الضباع وأما الوجه فهو بالتأكيد وجه كلب بلدى ،والذيل ذيل ثعلب ،وأخذ خيط الحديث آخر وأخبرهم أنها تكرر نزولها وظهورها فى قرى الصعيد من بعد سيل ١٩٩٦ وقيل أنه تمت وقتها تجارب عسكرية أو فقدت فى السيل مكونات عسكرية كيمائية ربما تكون السبب فى ذلك ،ورفض الكثير هذا الإستنتاج وقرروا أنها أكيد لبؤة من إناث الضباع فهى الوحيدة التى تخون وتترك زوجها ليلقحها كلب بلدى أو ثعلب صحراوى ،وربما تحايلت على ذئب أصيل فحملت منه ،أما جمع الذئاب الحقيقية فهى أشرفهم إناثا وذكورا ،وأمّن الجميع على ذلك ،ومثلوها بحريم "....." وهنّ نساء لا يتورعن عن خيانة أزواجهن ذوى الحسب الأشرف. ولكنها الدنيا التى قد تأتى بوضيعة دنيئة تدّعى نسبها الأعز لتبقى وسط ذوات النسب الشريف ،فتتلطخ أصولهم وتتبدل جيناتهم بمصاهرة أسافل الناس وتتكاثر أنسالهم فيدّعون الحسب الشريف والنسب الأصيل فما إن تقرصهم الأيام وتدور عليهم الدنيا تظهر دناياهم ووضاع أصلهم .

حصّاد القمح

أتى ذاك اليوم الذى لم يتوقعه أحد ،الفلاحون يذهبون للحقول ببدل رياضية متعطرين مسرحى الشعر ومدهونا ،وفى آذانهم سماعات الأغانى الصاخبة يخرجون من بعد بزوغ الشمس متأففين من سخونتها ،وهم الذين باتوا ليلتهم تحت أجهزة التكييف وتضيع الدقائق القليلة التى يقضونها فى الأرض الزراعية بالتصوير مع "كتّ القمح" ، والجرار الزراعى ، وهذه الحقول الفسيحة مرصوصة فيها أجران القمح ينتظر الحصد والدرس ،وإذا مرت سويعات وأتى الضحى تعبوا وأرهقوا وتململوا من طول عملهم فى الحقل ويقرروا المغادرة للإستراحة تحت المكيفات ثم العودة آخر النهار ،رغم أن الآلات هى التى اصبحت تعمل فقد ظهرت حصّادة آلية لجمع القمح بديلا عنهم ،والدرّاسة أصبحت تدور بزر، وسير توضع عليه كتات القمح فتأخذها واحدة واحدة كشنط السفر فى المطارات بل هناك المكينة التى تجمع كل الأعمال فى آن واحد تجمع وتحصد وتدرس وتملء الأجولة بالقمح ثم تخيطها .

وقد كانت بداية تلك الخيبة الزراعية من عام ٢٠٠٤ م عاد احد الشباب للأرض بعد انقطاع عنها لمدة سبعة أعوام منذ آخر مرة بسبب التعليم الثانوى والجامعى والتوظف ،وكان أهله قد اعتادوا تأجير أجراء وأنفار للقيام بعزق ورى وتجهيز أرضهم للزراعة ومتابعة المحصول وجمعه وحصاده حتى إدخاله مدروسا إلى حواصل البيت ،ولم يكن ذلك تنعما أو تكبرا وإنما من حاجة الأجراء للنقود وحبوب القمح والذرة التى يتزكّونها من أصحابها، وكانت عائلة الشاب ذات أراضى متعددة وفى نفس الوقت كلهم أقارب وأنساب فلم يكونوا يشعرون بفوارق ،وإنما هى المزارعة والمشاركة ،أما فى ذلك العام فقد بدأت الريح الضارة تهب من دول الخليج فأولئك الأجراء السابقين وأبناءهم عادوا من بعد غزو العراق ، واتضحأنهم ألفوا الكسل وتعودا العمل الهين ،بل ومد الأيدى والتسول بديلا عن العرق الشريف، فقد

اشـترطواأخذ ثمـن العمـل مقـدما فـاعطوا عـن جمـلة القـراريط المطلـوب حصـيدها ودرسـها ،وإذا بهـم يصـدرون لائحـة لهـم بـأن ينتهـى عملهـم بعـد الظهـر مبـاشرة سـواء أنجـزوا المهمـة أم لم تـتم ،وإن زادت المـدة ضـوعفت لهـم الأجـرة فوافـق مـالك الأرض رغم اعـتراض أبنـاءه جميعـا ،مضـطرا فقـد فـات ميعـاد الحصـد والدرس مـن شـهر وخـاف عـلى المحصـول مـن الفقـد والضـياع لقـلة الأجـراء الـراغبين فى العمـل فـإنهم منعمـين ببضـعة ريالات ودينـارات أتـوا بهـا مـن سـفرهم ،وبعـدما أخـذوا الأجـر كلـه كامـلا مقـدما،أتوا فى منتصـف الليـل معيـدين المـال ناقصـا فقـد صرف أحـدهم نصـيبه بعـدما وزّعـه عليهم كبيرهم واعـدا بـرده بعـد يـومين ،ووقـال كبيرهم أن السـبب هـو أن اتفـاق المقـاولة كان مـع سـتة أنفـار ونقـص واحـد لعـودة زوجتـه الغاضـبة بالأمـس وقـد أصابه الإرهاق وهو الذى أخذ بعض المال وأعاد به المرأة .

ودق رنين الهاتف على ابن العائلة :

- اغثنـا مـاذا نفعـل ،فـالعمال المكـريين أعـادوا المـال ورفضـوا الحصـاد ودراسـة القمـح لنقصـهم واحـدا ،وضرب كفـا بكـف فهـؤلاء الأجـراء وآباءهم منـذ السـنوات السـبع السـابقة كانـوا يتنـاوبون طـرق باب بيـتهم صـباحا ومسـاء طلبـا للعمـل فى أرضـهم ،وإن لم يكـن هنـاك مـا تحتاجـه الأرض تحـايلوا بتنظيفهـا مـن النجـيلة أو الـزمير، وكان والده كجـده لا يحـرم أحـدا ولا يمنعـه طالمـا دق بابهـم، ولكـنهم كانـوا يأخـذون أجـرتهم آخـر النهـار التـالى الذى كانـوا يقضـونه كامـلا فى تنظيـف الأرض ورعايتهـا منتظـرين وجبـة الغـذاء الـتى يـذهب بهـا إليهم بعـدما تـرك لديهـم خبز الإفطـار والـبرّاد مع السـكر والشـاى والمـاء المثلج وكانـوا يتلهفـون عـلى قطـع الجبن القديمـة مع البصـل والطماطـم وأحيـانا الفلفـل والجـرجير بجانـب الخيـار-يا لهـا كانـت مـن أيام – تـذكرها بحنـين وحسـرة فقـد كان يجلـس معهـم يسـاعدهم فى عملهـم ويتسـامر معهـم ويـأكل ويشـرب وسـطهم ، أمـا والآن فقـد تكـبرّوا عـلى كل ذلك منذ جمعوا الريالات والدينارات والدراهم فى أيديهم فخاطب محدثه :

- لا تفعلوا شيئا فإنى نازل قبيل شروق الصبح ،وقد كان يسكن المدينة وابتعد عن القرية مع العودة إليها شهريا –ووجههم بإرسال وعيدا لصارف المال بإعادته ظهر الغد وإلا سيعاقب ،وقبيل الفجر آتاهم فى الدار ذاك السادس مترجيا أنهم سيكملون المهمة وتنفيذ مقاولة الحصيد والدراسة ،فلما بلغ الابن قوله رفض رفضا مشددا وما إن لاحت الشمس على البزوغ كان بالقرية ،حصد كل القراريط فى يومين ثم درسها فى رابع الأيام ،وهو الذى وقف على الدراسة ألقمها القمح، وكان قد راق الأمر لصاحبها ظنّا منه أنها ستعد الساعات وهى غالية التعريفة تلكم الأيام ،فيد ذاك الشاب باعتقاده ناعمة منذ طفولته، ففوجىء بأنه انهي ربع الحصيد فى عشر دقائق فأوقف الجرار عن العمل بحجة أنه سيحرق ماتوره ويقطع سير الدراسة من السرعة الرهيبة التى يعمل بها وقوة العمل وكفاءة الخبرة التى ظهرت عليه، وأصرّ على جلب فتاه الذى يلقم الدراسة بالقمح ليكمل العمل ،ولكن الشاب رفض وتمنع هو إلا أنهم اختاروا حلا وسطا ،أن يعمل بتؤدة وبطىء ،ووافق الشاب بلا وعد منه وكل فترة يزيد قوة عمله، فيغضب صاحب الآلة ويهدد بإيقاف العمل ،حتى تراضوا وترك صبيه يكمل ،واعد له بعدم الإبطاء وإلا صعد مكانه وأنجز ،وجلس معهم يرتشف الشاى وترك الآخرين يتموا العمل .

وتحسر على الأيام فقد كان الناس يعملون دائما حتى وإن كانوا من أكابر ملاكى الأرض ،فعار عليهم أن يبقوا بلا عمل ،أو أن يتحصلوا على مال من غير جد وعرق وتعب من اول نفس للنهار حتى آخر ومضة فيه عند الغروب ،ويا ليت لا يأتى ذاك اليوم الذى نترك العمل بالحقول لأجهزة الروبوت والميكنة الآلية الحديثة ويجلس الفلاحون ومالكوا الزراعات يطرقعون بالمضغ ويتراقصون بأغانى ماجنة وسماعات البلوتوث فى آذانهم

،بـــديلا عـــن شـــدوهم وإنشـــادهم الذى اعتـــادوا عـــلى تريـــدده وتأليفـــه بأفواههم،ولكأننا نسمع الأرض والحقول تبكى وتأنّ وتحنّ وتنادى :

- ايـن زراعـى أيـن باذروا البـذور ،أيـن حصّـاد االقمـح؟ ومعهـا تتصـايح الدور أيـن الأجداد والآباء أين أعمدة الدور أين رجالى ؟

ألا ليت هذا اليوم لا يأتى .ويعود يوم آخر برجاله زارعى الأرض حصّاد القمح